في فن كتابة الرواية.... وللكتّاب في كتاباتهم شؤون

حتى الحماقات التي قد تخطر لنا تفتح الطريق إلى الإلهام

| جُمان بركات

كتابة رواية أو كتاب قد يظن أنه من اليسير العبور إليهما، أما أن تكتب شيئاً جيداً يسجل حضوره في مصاف الأدب العالمي له من الصعوبة ما يكدر البعض أو يدفعهم إلى عادات غريبة حتى يستطيع أن يستجلب الإلهام الذي يلزمه لصياغة سطور حكايته السحرية، وغالباً ما يتعرض البعض لسؤال كيف تكتب الرواية؟ كيف يختار الخيال الوقت المناسب لإظهار إبداعاته ويجعل من نفسه يرتكب تحفة تفاجأ أنت بها أيضاً؟ ولهذا السؤال وأسئلة أخرى أفرد الكاتب غابرييل غارسيا ماركيز الروائي الكولومبي صاحب المخزونات الرائعة من الأدب الساحر مجموعة مقالات وضعت في كتاب بعنوان «كيف تكتب الرواية»، هذا الكتاب على الرغم من روعة مقالاته وبساطتها وسحرها إلا أنها لا تجيب ولا تشفي غليل القارئ عن معرفة الأدوات السحرية التي يستعملها الكاتب وعن الخيوط التي يعتمد عليها في شبك حبكة أدبية شائقة تأخذك إلى عالم آخر.

دان براون

أورهان باموق

بلزاك

كولن ولسون

يورد في المقدمة: «الشيء الوحيد الذي رغبت عمله في حياتي هو رواية القصص، نصف الحكايات التي بدأت بتكوينها سمعتها من أمي، في اليوم الذي اكتشفت فيه أن الشيء الوحيد الذي يهمني حقاً هو رواية القصص، عقدت العزم على عمل كل ما هو ضروري لإشباع هذه الرغبة، ولن أسمح لأي أحد أو لأي شيء بأن يجبرني على التفرغ لأمر آخر، لا يمكن أن تتصوروا مقدار الخدع والمراوغات والحيل والأكاذيب التي كان علي أن أمارسها خلال سنوات دراستي لكي أتمكن من أن أصير كاتباً، المهارات والأساليب تكتسب من خلال التجربة وعدم الاستسلام للتنويم المغناطيسي والانتباه إلى كل التفاصيل، فحتى الحماقات التي قد تخطر لأحدنا يجب أخذها بالحسبان لأنها في بعض الأحيان وبتحوير بسيط تفتح الطريق إلى حلول شديدة الإلهام».

«فن الرواية»

أما الكاتب كولن ولسون في كتابه «فن الرواية» يعرفنا إلى أساليب الكتاب المعروفين في محاولة لإيجاد قواعد للكتابة، فهمنغواي يرى أن الكتابة تبدو سهلة إلا أنها في الواقع من أشق الأعمال في العالم، يرى كولن أن مشكلة الكاتب في أنه غير قادر أن يكون «سقراط نفسه» وأن يسأل نفسه الأسئلة المناسبة وهنا تكمن «الحيلة» في معرفة طرح السؤال المناسب، ويرى ولسون أن الإبداع ليس سراً مقدساً إنه أساساً موهبة حل المشكلات، ويطرح على نفسه أسئلة عدة: هل من الممكن تدريس منهج عن الكتابة الإبداعية؟ عندما يجلس كاتب محدقاً في صفحة بيضاء أمامه فإن ذلك لا يعني أن ليس لديه ما يقوله، المشكلة على العكس من ذلك عادة، فهو لديه من الأمور الكثيرة الجاهزة محتشدة في أعماقه وليس هناك إلا منفذ واحد ضيق لخروجها ألا وهو رأس القلم.

الطموح

خالد حسيني يجيب في إحدى المقابلات التي أجريت معه عن سؤال: كيف يتخيل الكتاب قبل أن يكتبه: «لا أخطط على الإطلاق، لا أجد ذلك مفيداً، ولا أحب الطريقة التي تضعني في قالب، أحب عنصر المفاجأة والعفوية، أترك القصة تجد طريقها الخاص، لهذا السبب أجد أن كتابة المسودة الأولى صعبة جداً وشاقة وغالباً ما تكون مخيبة للآمال، أحب إعادة الكتابة فالمسودة الأولى هي في الحقيقة مجرد رسم تخطيطي أضيف إليه طبقة وبُعداً وظلاً ولوناً.

ويرى حسيني أن أهم نصيحة يقدمها للمؤلف الطموح «عبارة» قد تبدو مبتذلة برأيه إلا أنها أساسية ألا وهي أن تكتب، لقد قابلت الكثير من الناس الذين يقولون إن فكرة الكتاب في رأسهم ولكنهم لم يكتبوا كلمة واحدة، لكي تكون كاتباً عليك أن تكتب كل يوم وعليك أن تكتب حتى وإن شعرت بأنك لا تحب ذلك، والأهم اكتب لجمهور واحد هو «أنت» اكتب القصة التي ترغب في أن تحكيها وتقرأها، من المستحيل أن تعرف ما يريده الآخرون، لذلك وحتى لا تضيع الوقت في محاولة التخمين، اكتب فقط عن الأشياء التي تحدث تحت جلدك وتجعلك مستيقظاً في الليل، كذلك يجب أن تقرأ كثيراً وباهتمام، اقرأ عن الأشياء التي تريد كتابتها، اقرأ عن الأشياء التي لا تريد كتابتها إطلاقاً، تعلم شيئاً من كل كاتب تقرأ له.

الجملة الأولى

غالبا ما يقوم الروائي التركي أورهان باموق بإعادة كتابة السطر الأول في رواياته من خمسين إلى مئة مرة، يقول: «أصعب شيء دائماً هو الجملة الأولى، هي المؤلمة»، يكتب صاحب الرواية الجديدة «المرأة ذات الشعر الأحمر» بالقلم على كراسات رسم، يكتب في صفحة ويترك المقابلة لها فارغة للتعديلات، ويدرج ما يشبه البالونات الحوارية المعهودة في القصص المصورة. يقول باموق: إنه يكتب في أي مكان يأتيه الإلهام، في الطائرات، في غرف الفنادق، على أرائك الحدائق ومع ذلك فهو لا يستسلم لاندفاعات العفوية حينما يتعلق الأمر بحبكة قصة أو ببنيتها، يقول باموق: «إنني أخطط لكل شيء».

> أصعب شيء في الرواية هو الجملة الأولى التي قد يكتبها صاحبها من خمسين إلى مئة مرة حتى يستقر

نسخ

منذ أن كان كازو إيشيجيرو مراهقاً وحتى أصبح في منتصف العشرينيات حاول أن يجعل من نفسه كاتب أغنيات من دون أن يصادفه النجاح، وكان ذلك السعي المبكر الذي ساعده على تكوين أسلوبه السردي الموجز المعتمد على ضمير المتكلم. إيشيجيرو الحائز جائزة نوبل للعام ٢٠١٧ يقضي سنتين في البحث من أجل كتابة رواية ثم يكتبها في سنة، وقبل أن يبدأ في تسويد المسودة الأولى يعد ملفات من الملاحظات والخرائط التي لا تكتفي بعرض الحبكة الأساسية بل ملامح السرد الدقيقة وعواطف الشخصية وذكرياتها، يجمع ملاحظاته ويكتب مسودة أولى ويراجعها بالقلم الرصاص، ثم يطبع النسخة المنقحة على الكمبيوتر وفي هذه النسخة الرقمية ينقح مرة أخرى، وفي هذه المرة يحذف كتلاً ضخمة قد تصل ربما إلى مئة صفحة.

القهوة

دعم الكاتب الفرنسي بلزاك كتابته الإبداعية باستهلاك قرابة خمسين فنجاناً من القهوة في اليوم وبعض الدراسات تقول إنه بالكاد كان ينام حين كان يكتب أعظم إبداعاته «الملهاة الإنسانية»، إضافة إلى أن فولتير كان أيضاً مدمناً على القهوة فكان معروفاً بشربه نحو أربعين فنجاناً من القهوة في اليوم..

بعض الكتاب يجهز الاستلقاء من أجل مخيلتهم وتركيزهم على الكتابة فهم يجدون الإلهام والكلمات المناسبة في سريرهم المريح، من هؤلاء الكتاب الذين مارسوا الاستلقاء عند الكتابة مارك توين، جورج أورويل، أما الكاتب والمسرحي الأميركي ترومان كابوتي عرف أنه كاتب أفقي تماماً لأنه لا يستطيع أن يفكر ويكتب إلا إذا كان مستلقياً. على عكس النقطة السابقة، الكتابة رأسياً ليست غريبة على بعض الكتاب المشهورين مثل همنغواي، تشارلز ديكينز، فيرجينيا وولف، هؤلاء المبدعون جاءهم الإلهام في كتابة رواياتهم أثناء وقوفهم أمام المكتب.

العلاج المقلوب

الروائي الأميركي دان براون صاحب «شيفرة دافنشي» و«الجحيم» كان يخضع أحياناً لـ«العلاج بالمقلوب»، أي أن يعلّق نفسه المقلوب كي يسترخي ويركز أفكاره، ويقول إن هذه الطريقة تلهمه وتساعده على التركيز في الكتابة.

لكل كاتب عاداته الغريبة وأخيراً يقول روبرت جوردن «الكاتب الذي ينتظر الإلهام أو المزاج المناسب للكتابة سوف يموت جوعاً، لأنه لن يكتب كثيراً».

الاحتفاء بميلاد بيتهوفن في دار الأوبرا

غزوان زركلي: بعد مرور مئتي عام نستذكر مقطوعاته الخالدة

| سارة سلامة

«الموسيقا أكثر إلهاماً من جميع الحِكم والفلسفة» هذا ما قاله بيتهوفن ربما اليوم أصبح حقيقة لا يمكن إهمالها، فبالموسيقا وحدها نستطيع بلوغ الخيال وتسلق المستقبل والعبور إلى الماضي والتغني بالروح، حيث نحرص منذ بدايتنا للإنصات إلى موسيقاه التي تعتَبرُ من أعظَم الموسيقا في جميع العصور وأكثرها تأثيراً، وله الفضلُ الأعظم في تطوير الموسيقا الكلاسيكيّة. وتَشمَلُ مُؤلّفاتُه تسعَ سيمفونيّات وخَمسَ مقطوعات على البيانو وأخرى على الكمان، واثنتين وثلاثين سوناتا على البيانو وستّ عَشرة مقطوعةً رُباعيّة وتريّة؛ كما ألّفَ أيضاً أعمالاً للصالونِ الأدبيّ وأخرى للجوقة وأغاني.

وتجري الاحتفالات بذكرى ميلاده الـ٢٥٠ في ألمانيا والنمسا، وتتضمن حملة «BTHVN»، ومقرها بون، وهي المدينة التي شهدت ميلاد الملحن الراحل المولود في عام ١٧٧٠ والذي توفي في عام ١٨٢٧، مئات الحفلات الموسيقية والفعاليات.

وبمناسبة الذكرى ٢٥٠ لميلاد لودفيغ فان بيتهوفن أقامت جمعية صدى بالتعاون مع مديرية المسارح والموسيقا في (دار الأسد للثقافة والفنون) احتفالية تخلد فيها موسيقاه بقيادة المايسترو غزوان الزركلي إضافة إلى الأوركسترا التي رافقته.

إرث وبصمة

وتحدث المايسترو غزوان الزركلي: «حرصنا على تقديم المقطوعات الأخيرة التي ألفها الموسيقي العالمي بيتهوفن، من خلال تقسيم الحفل إلى قسمين لنبدأ بالعزف منفرداً بمقطوعتي سوناتا للموسيقي من أصل ٣٢ سوناتا وكانت الأعمال التي قدمت من المرحلة الثانية، أما في القسم الثاني فقدمنا مقطوعتين صغيرتين، ومن ثم أوركسترا للبيانو عزف رابع، ويتكون العدد الإجمالي للعازفين من ٣٧ عازفاً».

> د. لبانة مشوح: نهتم بنشر الموسيقا ورفع الذائقة الموسيقية

وأضاف زركلي: «سعادتي اليوم كبيرة بتلك الأمسية التي لاقت إعجاباً كبيراً بين الجمهور، وما تركه الموسيقي من إرث وبصمة كبيرة في العالم العربي والعالمي إلى يومنا هذا، واليوم نحتفي بموسيقاه بعد مرور مئتي عام على رحيله لنتحدث باسمه ونحيي حفلات نستذكر مقطوعاته الخالدة».

ننشر الموسيقا

بينما بينت رئيسة جمعية صدى الدكتورة لبانة مشوح أن «العالم يحتفل هذا العام بالذكرى ٢٥٠ لميلاد الموسيقار الكبير بيتهوفن، وقد آثرنا في جمعية صدى التي تهتم بنشر الموسيقا ورفع الذائقة الموسيقية والعناية بالموسيقيين ودعمهم، أن نحتفل بهذه المناسبة بحفل كبير مميز أحياه عازف البيانو الكبير غزوان الزركلي، ويقود فيه أعضاء من الفرقة الوطنية السيمفونية اختارهم وشكل معهم ما يسمى فرقة احتفالية بيتهوفن، وهم من خيرة الموسيقيين وأساتذة في المعهد العالي للموسيقا وأيضاً من الطلاب المتميزين في هذا المعهد».

وأضافت مشوح: إن «جمعية صدى تعنى بنشر الموسيقا ودعم الموسيقيين الشباب بدأت نشاطها هذا العام بإحياء حفل لميلاد موسيقي عظيم، بقيادة ومشاركة ٣٧ عازفاً، وتضمن البرنامج في جزئه الأول عزفاً منفرداً على البيانو مصنف ٩٠ مقام مي مينور/ مي ماجور. وسوناتا مصنف ١١٠ مقام لا بينوا/ ماجور، وفي جزئه الثاني عزف الزركلي «لحظات عابرة». ثم قدم مع الفرقة الموسيقية المونشرتو الرابع البيانو والأوركسترا فأبدع، ونقل الإبداع إلى الجمهور الذي صفق وقوفاً بحرارة لما لمسه من جمال وحرفية وبراعة في العزف».

وأوضحت مشوح أن «صدى جمعية حريصة على المشاركة في تقديم أعمال متميزة ولديها مشاريع موجهة إلى الأطفال، تنطلق اعتباراً من آذار المقبل، أمسيات استماع موسيقي شهرية تقدم بالتعاون مع المركز الثقافي العربي- أبو رمانة، وستكون أول جلسة استماع يوم الأحد ١٥ آذار، تحييها عازفة القانون المبدعة ديمة موازيني».

هرمينوطيقا سرد ما بعد الحداثة

عرض لنظرية نقدية فلسفية على حساب النص الروائي

| إسماعيل مروة

دراسة حديثة صدرت منذ أيام للباحثين العراقيين د. محمد صابر عبيد ود. محمود خليف خضير الحياني، وهذه الدراسة اتخذت من ثلاثية هزوان الوز الروائية «معرض مؤجل» موضوعاً ونموذجاً للتطبيق العملي لنظرية بول ريكور، وهي تجربة ممتعة حقاً، أن تجد دراسة تطبيقية لنظرية فلسفية نقدية على نص روائي ممتد على مساحة زمنية طويلة، ويغصّ النص بالآراء والأحكام والحياة.

بداية ليس كل القراء على علم بنظرية ريكور المطبقة، ونقد الحداثة وما بعده ما تزال الأشواط التي تفصل القارئ، حتى المتخصص عربياً، بعيدة جداً، ويبدو أن دراسة الكاتبين متأثرة بدرجة كبيرة بهذه النظرية التي يريدان تطبيقها، ومن المقدمة أشار الباحثان إلى منهجهما الذي بدأ أول ما بدأ بالتعريف بريكور ونظريته وعناصرها، وفي هذه البداية النظرية التنظيرية فائدة كبيرة إذ يبدأ الباحثان مقدمتهما ببيان ما يريدان تطبيقه «طرح بول ريكور مشروعاً سردياً كبيراً ومعقداً يجمع بين الأنطولوجيا والتاريخ، والهرمينوطيقية، والسرد، والهوية السردية، والمتخيل التاريخي والسيري، وفي هذه التوليفة المتنوعة والمختلفة عمل بول ريكور على البحث عن نقطة تجمع بين هذه الحقول المتنوعة على أساس المغايرة والتماثل، ولكن النقطة التي تجمعت بها عنده، وشكلت المشترك بين هذه الحقول هي عنصر الزمان، وحاولت الفلسفة الريكورية أن تقاربه من حيث آليات الكوني والنفسي، والاتصال، والانقطاع وفي الخطاب التاريخي، والسيري..» محاولة لتفسير الريكورية الفلسفية، ولكن المحاولة هذه عجّت بالمصطلحات التي تحتاج إلى تفسير أكثر وأعمق، خاصة أن الكتاب يتوجه إلى العامة، ابتداء من العنوان وصولاً إلى النتائج.. وأنا بقراءاتي المتواضعة شعرت بأن الباحثين افترضا معرفة جيدة لدى القارئ، فغاصا فيما هو قد يكون غير مفهوم لدى المتلقي، ولا يخفى على أحد أن النظريات النقدية الحديثة تقوم على الفلسفة أكثر من قيامها على الأدب ومفرداته.. وحين تتبعت البحث مشيت مرهقاً صفحة صفحة وسطراً سطراً حتى أصل إلى ثلاثية (معرض مؤجل) والتطبيق عليها، وللحقيقة فإن المقدمات النظرية على أهميتها كان من الممكن أن تكون هوامش ويكون التطبيق مباشرة، لكن الباحثين الجليلين تابعا وراء معرفتهما النظرية التنظيرية على حساب التطبيق، ليظهر التطبيق فجأة في الحديث عن البيئات التي اختارها الروائي.. ولفت انتباهي هذا الإغراق التنظيري، فلم أجد في الهوامش المصادر الأصلية بلغاتها، وفي المصادر لا وجود لها، وفي السيرة الباحثان درسا في جامعات عربية، وكان جلّ اعتمادهما على كتب مترجمة للنظرية أو شرحها، وأزعم أنه من الضرورة بمكان أن تكون هذه النظريات من منابعها، حتى لا يحدث ما خمنته ورأيته من أن الدراسة اعتمدت القراءة التذوقية التقليدية، وتمّ تفصيل النظرية الريكورية على مقاس النقد، واستبدلت الأسماء المفهومة بأسماء مبهمة، إن ما قدمه الباحثان من قراءة مهم، والرواية الثلاثية مهمة أيضاً، ولكن لننظر بعد المقدمة النظرية في الريكورية والتي أخذت مساحة من الكتاب كبيرة تأتي القراءة كما يلي «كل شيء قديم وحفظته ذاكرة رامي يتمركز حول الحب والبساطة والتعايش والسلام، حتى إن البيئة التي كانت تشع بالجمال يمكن أن تمثل بيئة حاضنة للحب بقوة، فالذاكرة التي سجلها أبو رامي تؤكد التعايش والحب والإخلاص والجمال «نص من الرواية» يتابع الباحثان: «يتمظهر في هذا المقطع فضاء الأصالة والارتباط والتلاحم بين أهل القابون، فالكرم الذي أبدوه تجاه أبي رامي من حيث التبرع بالأرض... يعبر عن جوهر المقولة السردية التي اشتغل الروائي على إشاعتها في مفاصل الرواية على الرغم من أن حضورها كان صعباً وملتبساً، هذا النص المقتطع لطيف ومفهوم، ولا مكان فيه لأي شيء من الريكورية التي بدأ بها الباحثان، وهي لا تعدو أن تكون شرحاً وتفسيراً وتحشية على النص الروائي، وذاك يمتد حتى نهاية الكتاب بعيداً عن الإيهام الذي بدأ من العنوان، وفي نهاية الكتاب يذكر الناقدان «رامي كان من دعاة الديناميكية والتحرك والتطور، ولقد تغلبت اليوتوبيا أو الأمل، أو الجمال، في هذه الرواية على الواقع السيئ والجامد، وهو صراع أزلي في الأصل بين السكون والحركة، والقيمة الفردية على حساب الجماعة، فالفرد يمكن أن ينتصر على الأشياء المشوهة في المجتمع إذا امتلك الرؤية المطلوبة، لو أمعنا النظر في هذه الأحكام المنثورة حول الثلاثية، فإننا سنجد أن النظرية المدعوة للتطبيق كانت غاية نظرية تنظيرية، وأن هذه النظرية كانت هوامش للرواية، أو كانت نصوص الرواية هوامش لها!

لا شك بأن هذه الدراسة تمثل بادرة طيبة في تطبيق النظرية النقدية على الثلاثية، ولكن من قرأ الرواية بأجزائها فسيجد أن تطبيق النظرية لم يقدم شيئاً، هذا إن لم يكن مبعداً للقارئ وغير محفز، لأن كمّ البحث عن التأطير النظري غلب على الجانب التطبيقي الذي يمثل الغاية الأساسية التي لم تستوفِ حقها، وكان من الممكن أن يكون غير مقتصَر على عرض تلخيص النظرية، ومن ثم العودة سريعاً إلى النقد التقليدي الذي نعمل عليه.

وأخيراً.. فإن الثلاثية مع التجربة الروائية السابقة «دمشق» تمثل نموذجاً من المزج بين التاريخي والحاضر، وتمثل غنى في المعلومات والسرد يحتاج إلى تحليل أكثر عمقاً، وليس شرطاً أن يحمل أسماء نظريات نقدية حديثة وحداثية وما بعد الحداثة! وإن أردنا أن نطبق هذه النظريات فعلينا أن نطبقها بصدق.

سرد ما بعد الحداثة تجربة ذات أبعاد إيجابية، وتمثل إضافة، ولو أعيد النظر لما أمكن الفصل بين جانبين نظري وتطبيقي.